اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى «الْحَمَامَةِ الْبَكْمَاءِ بَيْنَ الْغُرَبَاءِ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ
فِي جَتَّ.

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ لأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِباً يُضَايِقُنِي. 2تَهَمَّمَنِي
أَعْدَائِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءٍ. 3فِي يَوْمِ خَوْفِي أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ. 4اَللهُ
أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ! 5الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ
كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ. 6يَجْتَمِعُونَ، يَخْتَفُونَ، يُلاَحِظُونَ خَطَوَاتِي، عِنْدَمَا تَرَصَّدُوا
نَفْسِي. 7عَلَى إِثْمِهِمْ جَازِهِمْ. بِغَضَبٍ أَخْضِعِ الشُّعُوبَ يَا اللهُ. 8تَيَهَانِي رَاقَبْتَ. اجْعَلْ أَنْتَ
دُمُوعِي فِي زِقِّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟

9حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ فِي يَوْمٍ أَدْعُوكَ فِيهِ. هذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لأَنَّ اللهَ لِي.
10اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. الرَّبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. 11عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ، فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي
الإِنْسَانُ؟ 12اَللّهُمَّ عَلَيَّ نُذُورُكَ. أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ، 13لأَنَّكَ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ،
نَعَمْ وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ، لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ فِي نُورِ الأَحْيَاءِ.

يقاومونني بكبرياء

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. أما مناسبة كتابة هذا المزمور فهي نفس مناسبة كتابة مزمور 34، فنرجو أن يرجع القارئ الكريم إلى مقدمته.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها (آيات 1–4)

ثانياً – شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها (آيات 5–8)

ثالثاً – الاطمئنان مع الله (آيات 9–13)

أولاً - شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها

(آيات 1-4)

1 - سبب الشكوى: (آيتا 1، 2).

(أ) العدو يلاحقه: «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني.. تهمَّمني أعدائي» (آية 1، 2أ). يطلب رحمة الله، ويشكو من تهمُّم العدو الذي يطارده ويلاحقه، مع أن العدو «إنسان» مائتٌ باطل، مأخوذ من التراب وإلى التراب يعود، ولكنه في شره يظن أنه قوي قادرٌ على ملاحقة داود وقتله. ولا شك أن رحمة الله أعظم جداً من الإنسان الفاني، ولا بد أن تنقذ المرنم الطريد.

(ب) العدو لا يتوقَّف عن ملاحقته: «اليوم كله محارباً يضايقني. تهممني أعدائي اليوم كله» (آية 1ب و2أ).

(ج) الأعداء كثيرون: «لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء » (آية 2ب). والمؤمن الذي لا يتوقَّع الشر والمقاومة مؤمن ساذج، فإبليس كأسدٍ زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (1بط 5: 8). قال المسيح لبطرس: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو 22: 31، 32).

2 - علاج شكوى الملاحقة: (آيتا 3، 4).

(أ) الاعتماد على الله: « في يوم خوفي أنا عليك أتَّكل.. على الله توكلت فلا أخاف» (آيتا 3، 4ب). لا يسجِّل الوحي أن داود خاف من العدو إلا وهو في جت (1صم 21: 12). وفي خوفه سلَّم قضيته لمن لا يُرى ولكنه يرى، القادر على كل شيء. فصار من «المتكلين على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع، بل يسكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (مز 125: 1، 2).

(ب) الافتخار بكلمة الله ومواعيده: «الله أفتخر بكلامه» (آية 4أ). «انتظرتُك يا رب. انتظرَت نفسي، وبكلامه رجوت» (مز 130: 5). «لم تسقط كلمةٌ من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار» (يش 21: 45).

(ج) معرفة ضعف البشر: «ماذا يصنعه بي البشر!» (آية 4ج).

ثانياً - شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها

آيات 5-8)

1- سبب الشكوى من المؤامرات: (آيتا 5، 6)

(أ) تحريف كلامه: «اليوم كله يحرِّفون كلامي» (آية 5أ). عندما وقع شاول بيد داود سأله: «لماذا تسمع كلام الناس القائلين: هوذا داود يطلب أذيَّتك؟» (1صم 24: 9). وقد حرَّف دواغ الأدومي كلام داود، وحرَّف تفسير ما فعله رئيس الكهنة، واشتكى عليهما بالباطل، فقُتل خمسة وثمانون كاهناً، وضُربت مدينتهم «نوب» بمن فيها من رجال ونساء وأطفال ورضعان وبهائم (1صم 22: 18، 19).

(ب) تفكيرهم بالشر: «عليَّ كل أفكارهم بالشر» (آية 5ب). إنهم من أب هو إبليس، و«مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف 6: 12).

(ج) يكمنون للشر: «يجتمعون، يختفون، يلاحظون خطواتي عندما ترصَّدوا نفسي» (آية 6). كجواسيس اجتمعوا ليراقبوه، فإذا انتبه لاجتماعهم اختفوا، ولكنهم استمروا يلاحظونه ويرصدون تحرُّكاته ليبلغوا بها شاول الذي أمرهم: «اذهبوا أكِّدوا أيضاً، واعلموا وانظروا مكانه حيث تكون رِجْله، ومَن رآه هناك. لأنه قيل لي إنه مكراً يمكر. فانظروا واعلموا جميع المختبآت التي يختبئ فيها. ثم ارجعوا إليَّ على تأكيدٍ فأسير معكم. ويكون إذا وُجد في الأرض أني أفتش عليه بجميع ألوف يهوذا» (1صم 23: 22، 23).

2 - طلبتان لعلاج الشكوى: (آيتا 7، 8).

(أ) عقاب المتآمرين: «على إثمهم جازِهم. بغضبٍ أَخضِع الشعوب يا الله» (آية 7). يبني داود ثقته على أن عدالة الله لا بد ستنجيه من المتآمرين عليه، فهي تجازي كل واحد حسب عمله.

(ب) الإنقاذ الإلهي: «تيَهاني راقبتَ. اجعل أنت دموعي في زِقِّك. أما هي في سِفْرك؟» (آية 8). كلمة «راقبتَ» في الأصل العبري تعني الإحصاء، فالرب يُحصي حتى شعور رأس المؤمن (مت 10: 30). لقد أحصى عدد مرات تيهان داود، وعدد الكهوف التي اختبأ فيها، وعدد الصعوبات التي اجتازها، وفي كل ضيقه تضايق، وملاك حضرته خلَّصه. بمحبته ورأفته فكَّه ورفعه، وحمله (إش 63: 9) ، وحفظ دموعه في الزقِّ الإلهي (وهو وعاءٌ من الجلد، أو قِرْبة). وهذا التعبير مأخوذٌ من عادةٍ قديمة، هي أنه عندما يذهب صديقٌ لزيارة صديقٍ حزين، يبكي معه، ثم يمسح دموعه بمنديل، يعصره في زجاجة صغيرة، يحتفظون بها تذكاراً للصداقة التي تواسي المتألم وقت الحزن.

وداود يثق أن الرب صديقه، يواسيه ويتألم معه ويسجّل كل أحزانه ودموعه في سِفره! «حينئـذ كلَّـم متَّـقو الرب كلٌّ واحد قريبه، والرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للـذين اتَّقـوا الـرب وللمفكرين في اسمه» (ملا 3: 16) ، وكأن الله يسجل حالة كل مؤمن يصلي إليه في مذكرة خاصة، فلا يحتاج المصلي أن يعيد الطلب ويكرره كالذين يظنون إنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم (مت 6: 7).

ثالثاً - الاطمئنان مع الله

(آيات 9-13)

بناءً على حقائق الإعلان الإلهي، وعلى الاختبارات السابقة يجد المـؤمن الاطمئنـان والسـلام والراحة. ويرجع اطمئنانه إلى:

1 - تأكيد هزيمة العدو: « حينئذ ترتدُّ أعدائي إلى الوراء في يومٍ أدعوك فيه. هذا قد علِمْتُهُ لأن الله لي» (آية 9). يجيء الاطمئنان أولاً من تأكيد هزيمة العدو، فيحصل المؤمن على النجـاة، ويقـول: «أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي» (2صم 22: 4).

2 - تأكيد النصر: «الله أفتخر بكلامه. الرب أفتخر بكلامه. على الله توكَّلتُ فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان!» (آيتا 10، 11). صحيحٌ أن «من ازدرى بالكلمة يُخرب نفسه، ومن خشـي الوصـيَّة يُكافأ» (أم 13: 13). يطمئن التقي لأنه يثق أن النصر قادم، بناءً على مواعيد الله. وهو لا ينجو فقط بل سينتصر! ويكرر المرنم هنا ما قاله في آية 4، فهو يفتخر بكلام الله ومواعيده، ويتكل عليه فـلا يخاف ماذا يصنع به الإنسان، فالرب ملك السماوات والأرض يقول في مطلع كـل يـوم: «اسـألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم.. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (مت 7: 7 ويـو 16: 24).

3 - تأكيد الصلة بالرب: (آيتا 12، 13).

تظهر صلة داود بالرب من نذرٍ يوفيه، وشكر يؤدّيه.

(أ) وفاء النذر: «اللهمَّ عليَّ نذورك» (آيـة 12أ). فبـالرغم مـن أنـه متغـرِّبٌ فـي أرض الفلسطينيين، لكنه يثق أنه سيعود إلى مكان العبادة في أورشليم ليوفي نذوره. «أدخـل إلـى بيتـك، بمحرقاتٍ أوفيك نذوري التي نطقَت بها شفتاي، وتكلم بها فمي في ضـيقي» (مـز 66: 13، 14). (انظر تعليقنا على مز 50: 14 بخصوص النذور).

(ب) ذبـائح الشـكر: «أوفي ذبائح شكرٍ لك» (آية 12ب). بالإضافة إلى الوفاء بالنــذور يقــدِّم تقدمة شكر على نجاةٍ قادمةٍ لا شكَّ فيها. « أُصعد لك محرقاتٍ سمينة مع بخور كبــاش» (مــز 66: 15).

4 - تأكيد النجاة: «لأنك نجَّيْتَ نفسي من الموت، نعم ورجليَّ من الزَّلق، لكي أسير قدام الله في نــور أحياء» (آية 13). يتحدث داود عن المستقبل بصيغة الماضي، لأنه واثقٌ من النجاة. لقد اختبر الإنقاذ الإلهي مرات بلا عدد، فقد أنقذه وهو صبي من افتراس الأسد، وأنقذه وشعبه من جليات الجبار. وكم أراد العدو أن يدفع به لينزلق ويسقط، ولكن الرب أقامه على صخرة حصينة. وكم أراد أن يلقي بــه في ظلمة القبر ولكن الرب منعه، فقال داود لعدوّه: «دَحَرْتني دُحوراً لأسقط، أما الرب فعَضَدَني» (مز 118: 13). إنه يثق أنه سيسير قدام الله في نور الأحياء، لا في ظلمة القبر، فيحيا في محضر الرب، تحت حمايته، يقدِّم له الخدمة المرضيَّة، فإن كل من يتبع نور العالم لا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة (يو 8: 12). دعونا نركز أنظارنا على الله، فنختبر مع داود صلاحه وعنايتــه ومحبتــه وفضله الذي لا ينقص ولا يتوقَّف.

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي الْمَغَارَةِ.

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ ارْحَمْنِي، لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ
تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ. 2أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي. 3يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلاَهْ. يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ. 4نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ.
أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ، وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ. 5ارْتَفِعِ اللهُمَّ
عَلَى السَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ. 6هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. انْحَنَتْ نَفْسِي.
حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ.

7ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ. 8اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي. اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ
وَيَا عُودُ. أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً. 9أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ. 10لأَنَّ
رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ. 11ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ.
لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ.

إلى أن تعبر المصائب

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. ويقول عنوان هذا المزمور إن داود كتبه «عندما هرب من قدام شاول في المغارة». ولا ندري إن كانت تلك المغارة (الكهف) مغارة عدلام (1صم 22) أو مغارة عين جدي على الشاطئ الغربي للبحر الميت (1صم 24). ويبدأ هذا المزمور كما بدأ سابقه بالقول «ارحمني يا الله». وقد اعتبرت الكنيسة هذا المزمور مناسباً لصباح القيامة، وانتصار المسيح على قُوى الموت والجحيم (1كو 15: 24-28) ، كما تقول الآية الأخيرة منه: «ارتفع اللهمَّ على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله هو الحماية في المصائب (آيات 1–6)
ثانياً – تسبيح المنجّي من المصائب (آيات 7–11)

أولاً - الله هو الحماية في المصائب
(آيات 1-6)

منذ نصر الله شعبه بيد داود حقد شاول عليه، فصار دائم التنقُّل، حتى قال لشاول: «وراء من أنت مُطارِد؟.. وراء برغوثٍ واحد!» (1صم 24: 14). والبرغوث حشرة صغيرة كثيرة القفز ويصعب إمساكها. وكأن داود يريد أن يقول إنه لا يستحق كل مطاردة شاول، الذي لن يمسك به!

قد لا نمرُّ بنفس ظروف داود، ولكن مَن مِنا لم يطارده الإحساس بالذنب، فيحتاج إلى ملجإ الكفارة الذي يستر خطاياه؟ ومَن لم يجربه إبليس الذي لا يترك أحداً بدون تجربة؟ لله ابنٌ وحيد بلا خطية، لكنه لم يكن بلا تجربة. ومن لم يدخل في صعوبة الاضطهاد، ويقاسي الضيق من العالم الحاضر الشرير؟ قال الرسول بولس: «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطَهدون» (2تي 3: 12). نحن في ذات السفينة التي ركبها داود، والتي تضربها العواصف! وفي الآيات الست الأولى من مزمورنا نجد خمس حقائق:

1 - طلب الحماية: «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب. أصرخ إلى الله العلي، إلى الله المحامي عني» (آيتا 1، 2). يطلب داود الرحمة اعتماداً على رأفة الله وأمانته لوعوده الكريمة. وهو يكرر دعاءه «ارحمني» مرتين، لإحساسه بعدم الاستحقاق. وقد جاء المسيح لا للذين يظنون أنهم أبرار، بل للأشرار الذين يحسّون بذنوبهم ويعترفون بها (مت 9: 13). ويطلب داود الحماية في ظل جناحي الرب إلى أن تعبر المصائب القادمة عليه كموجات متتالية تكاد تغرقه. وهو تعبير يحمل معاني الحب، والسرعة، والرفعة، والراحة، والظل، والأمان، فعندما تحسُّ الأفراخ الصغيرة بالخطر تُهرَع لتحتمي تحت جناحي أمها. «كما يترأف الأبُ على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مز 103: 13).

يحمي الرب المؤمن من المصاعب، ومن أشعة الشمس المحرقة. وهذا ما أراد المسيح أن يفعله بأورشليم، فقال: «كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (مت 23: 37). وقال بوعز لراعوث: «ليكن أجرُكِ كاملاً من عند الرب إله إسرائيل، الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را 2: 12). وقد طلب داود الحماية من الله العلي ملك العالم، الجالس

على كرسي عال ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل (إش 6: 1). وهو أعلى بكثير من كل أعداء المرنم، وهو المحامي عنه والشفيع الذي يقدر أن يعين المجرَّبين. «فإذْ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات: يسوع ابن الله، فلنتمسَّكْ بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً، عوناً في حينه» (عب 4: 14-16). إنه صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، وسيحمي محبّيه كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت 28: 18، 20).

2 - انتظار الحماية: «يرسل من السماء ويخلِّصني. عيَّر الذي يتهممني. يرسل الله رحمته وحقَّه» (آية 3). طرق الرب كثيرة للإنقاذ، وكلها سماوية، عامرة بالحكمة في التوقيت والأداء. يرسل مَن يشاء، متى يشاء، وفي وقته يسرع به. إنه يرسل «رحمته وحقّه» وهما ملاكان حارسان يخدمان الأتقياء الذين يصرخون طالبين النجاة، فيعيِّران العدو الذي يتهمَّم المرنم ويخزيانه ويسلمانه للعار.

3 - خطورة الموقف: «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتَّقدين بني آدم. أسنانهم أسنَّةٌ وسهامٌ، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (آية 4). كان الأعداء كالأسود الجائعة المحيطة بداود من كل جانب تريد أن تلتهمه، وكأنه مع دانيال في الجب الخطير (دا 6). ومع ذلك فهو يضطجع وينام رغم نيران الحقد والعداء المتَّقدة في نفوسهم ضده! لقد قال عندما هرب أمام أبشالوم: «بسلامةٍ أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينةٍ تسكنني» (مز 4: 8). وقد نام في مغارة عدلام كما نام بطرس نوماً عميقاً في السجن، رغم علمه أن غضب هيرودس يتّقدُ ضدَّه (أع 12: 6). قد ينام الخائف هروباً من الخطر، لكن المؤمن يضطجع وينام مطمئناً لأنه يثق في كمال محبة الرب له. صحيحٌ أنهم نهشوا نفسه بكلامهم الخشن، الشبيه بالأسنَّة (جمع سِنان، وهو نصل الرمح) أو كالسيوف الحادة، ولكنه يعلم أن نجاته لا بد قادمة، لأن المؤمن يحكم على كل لسان يقوم ضده في القضاء (إش 54: 17).

4 - طلب مجد الله: «ارتفِع اللهمَّ على السماوات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية 5). يطلب المرنم أن يعلن الله مجده «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظِّمٍ وعالٍ، وعلى كل مرتفعٍ فيوضَع» (إش 2: 11، 12).

5 - الحصول على الحماية: «هيَّأوا شبكةً لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرةً. سقطوا في وسطها» (آية 6). ما أكثر ما نصَب شاول الشِّباك وحفَر الحُفر ليقتنص داود، الذي انحنت نفسه وانكسرت من شدة المطاردة التي لا تتوقَّف. ولكن الرب أنقذه منها جميعها، وحصد أعداؤه ما زرعوه، فإن «من يحفر هُوَّةً يقع فيها، ومن ينقض جداراً تلدغه حيَّةٌ» (جا 10: 8).

ثانياً - تسبيح المنجي من المصائب

(آيات 7-11)

1 - روح التسبيح: «ثابتٌ قلبي يا الله، ثابتٌ قلبي. أغني وأرنم» (آية 7). كنا نتوقَّع أنه بسبب كل المخاوف التي وصفها في الآيات السابقة يقول: «خائفٌ قلبي». ولو أنه قالها لكان له كل الحق بحسب المقاييس البشرية. ولكنه ثبَّت قلبه في الله بالرغم من كل المصائب. لقد وعده الله وعوداً صادقة، وتعامل معه معاملات عظيمة. ولا يمكن أن ينسى يوم زيارة صموئيل النبي لبيت أبيه يسّى ليمسح للرب ملكاً. وجاء يسّى بأبنائه الستة، ولكن صموئيل سأل: «هل كملوا الغلمان؟». فأجاب يسى: «بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم». قال: «لا نجلس حتى يأتي إلى ههنا». وانتظر صموئيل حتى جاء داود، فمسحه ملكاً بناءً على تكليف الله، فحلَّ روح الرب على داود (1صم 16: 1-13). وبسبب ثبات داود في الرب لم يتوقَّف عن التسبيح. لم يوقفه إبليس، ولا مطاردة شاول، ولا غدر الفلسطينيين. لقد جعل داود حوائط مغارة عدلام تردِّد صدى ترتيله، وشعاره: «أسبِّح الرب في حياتي، وأرنِّم لإلهي ما دمتُ موجوداً» (مز 146: 2). «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟» (مز 27: 1). «لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متكلاً على الرب» (مز 112: 7). «ثبتُّم على الإيمان، متأسِّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل» (كو 1: 23).

2 - حماس التسبيح: «استيقظْ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود. أنا أستيقظُ سحراً» (آية 8). يدعو داود أمجد ما فيه ليسبح الرب، فيدعو عقله الذي يفكر، وقلبه الذي يحب، ولسانه الذي ينطق، وخياله الشعري الذي يكتب المزامير، وقدراته الفنية ليضع اللحن المناسب لتمجيد الرب. ويدعو كل آلاته الموسيقية من ربابٍ وعود لتستيقظ معه في الفجر. جاء في التلمود اليهودي أنه كان من عادة داود أن يعلّق عوداً فوق رأسه. وبعد منتصف الليل كانت ريح الشمال تضرب أوتار العود فتتبعث الأنغام، فينهض على صوتها يقرأ الشريعة إلى أن يحين الفجر. واقتبسوا عن داود قوله: «يوقظ الفجرُ الملوكَ، أما أنا فأوقظ الفجر!».

وما أجمل قول الشاعر:

قُم في الدُّجَى يا أيها المُتعبِّدُ   حتى متى فوق الأسرّة ترقد؟!

3 - مكان التسبيح: «أحمدك بين الشعوب يا رب، أرنِّم لك بين الأمم» (آية 9). سبّح داود الرب بين الشعوب فهذه روح كرازية، تتخطى حواجز الأمم والجنس، ليشهد لإلهه أمام من لا يعرفونه. وتحققت رغبته، فإن العابدين في كل الكنائس ينشدون مزاميره، وكأنه قائد فرق الترنيم فيها كلها!

4 - دوافع التسبيح: «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات، وإلى الغمام حقك» (آية 10). دفعت الرحمة والحق داود للتسبيح. لقد طلب الرحمة من الله في أول المزمور، وفي آخره يؤكد أنها ارتفعت إلى السموات، فوق ظلم شاول وجميع مقاوميه، فإنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمتُه على خائفيه (مز 103: 11). رأى داود الله من داخل المغارة، وعندما خرج منها رأى الغيوم العالية وفيها قوس قزح، علامة عهد الله مع جدِّه الأكبر نوح، فتأكد من أمانة الله. ولما هطل المطر الذي يروي الإنسان والزرع أدرك رحمة الله. صحيحٌ أن الحق يحتجب أحياناً وراء غيوم الباطل، لكن احتجاب أشعة الشمس خلف الغيوم لا يعني عدم وجودها، فهي خلف الغيمة. والله موجود وراء كل تجارب الحياة، ولن يعطّل وصول رحمته إلينا أي شيء.

5 - تواضع صاحب التسبيح: «ارتفِع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية 11). يرى داود أن ترنيمه وتمجيده لله ليس كافياً، فيدعو الملائكة، وأرواح الأبرار المُكمَّلين، أن يكملوا ترتيله المحدود بترتيلهم العظيم. ويدعو البشر جميعاً أن يعلّوا اسم الرب في كل الأرض، فتكون مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض «وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح 9: 5).

فليعطنا الرب أن نختبر دوماً مراحمه التي لا تنتهي، ليرتفع على كل الأرض مجده! «وسمعتُ كصوت جمعٍ كثير، وكصوت مياهٍ كثيرة، وكصوت رعودٍ شديدة، قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ 19: 6).

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». لِدَاوُدَ. مُذَهَّبَةٌ

1أَحَقّاً بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ، بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟ 2بَلْ بِالْقَلْبِ
تَعْمَلُونَ شُرُوراً فِي الأَرْضِ. ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ. 3زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ
الْبَطْنِ مُتَكَلِّمِينَ كَذِباً. 4لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ الْحَيَّةِ. مِثْلُ الصِّلِّ الأَصَمِّ يَسُدُّ أُذْنَهُ، 5الَّذِي لاَ
يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحُوَاةِ الرَّاقِينَ رُقَى حَكِيمٍ.

6اَللهُمَّ كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. اهْشِمْ أَضْرَاسَ الأَشْبَالِ يَا رَبُّ. 7لِيَذُوبُوا كَالْمَاءِ،
لِيَذْهَبُوا. إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ. 8كَمَا يَذُوبُ الْحَلَزُونُ مَاشِياً، مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ، لاَ يُعَايِنُوا
الشَّمْسَ. 9قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِالشَّوْكِ نِيئاً أَوْ مَحْرُوقاً، يَجْرُفُهُمْ. 10يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا
رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خَطَوَاتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ. 11وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: «إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَراً. إِنَّهُ يُوجَدُ
إِلَهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ».

يوجد إله قاضٍ في الأرض

يقدِّم لنا داود في هذا المزمور الإنسان الخاطئ في أعماله، وفي مصيره السيئ، ويدعونا للتوبة، مؤكداً أن الله يريد إنقاذنا من مصير الأشرار. ويبدأ بتوبيخ المسؤولين الذين لا يقضون بالعدل، ويقول إنهم أسوأ من المتَّهمين المقدَّمين للمحاكمة أمامهم. ويقول إن الله سيجعل الظالمين عاجزين عن إيقاع الأذى بالأبرياء، وسيبيدهم من الأرض. عند هذا «يقول الإنسان إن للصدِّيق ثمراً. إنه يوجد إلهٌ قاضٍ في الأرض». ولعل هذا المزمور كُتب وقت ثورة أبشالوم الفاشلة على والده داود (2صم 15).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مظاهر شر الشرير (آيات 1–5)

ثانياً – نتائج شر الشرير (آيات 6–9)

ثالثاً – درسان من دمار الشرير (آيتا 10، 11)

أولاً - مظاهر شر الشرير

(آيات 1-5)

1 - يسكت عن الحق: «أحقاً بالحق الأخرس تتكلمــون؟ بالمســتقيمات تقضــون يــا بنـــي آدم؟» (آية 1) يوبِّخ داود الحكام الأشرار الذين يسكتون عن الحق ويخرسون عن إعلانـــه، ولا يحكمـــون بالعدل والصواب الذي كان يجب أن يعلنوه، ويسألهم في استفهام استنكاري: «بالمستقيمات تقضون يا بني آدم؟» والتعبير «بني آدم» يُطلَق على الإنسان لضعفه وقابليته للموت. وبهذا يذكّرهم داود أنهم لن يستمروا في مناصبهم إلى الأبد، فلماذا يسكتون عن الحق، مع أنه «من يعرف أن يعمـل حسـناً ولا يعمل، فذلك خطية له» (يع 4: 17)؟

2 - يُدبّر الظلم: «بل بالقلب تعملون شروراً في الأرض. ظلم أيديكم تَزِنون» (آية 2). لقد عزمــوا بكل قلوبهم أن يخطئوا، لأن طبيعتهم فاسدة، فبدل أن يزِنوا الأمور بدقَّة ليحكمــوا بالعــدل، يزنـــون الأمور بميزان الظلم. والميزان يمثِّل العدالة، فكان يجب أن يكونوا عادلين، لكنهم عوضاً عن ذلــك ملأوا كفة الميزان ظلماً، ورجّحوا كفَّة الظلم على الناس. تظاهروا بالعدل ومارسوا الظلــم، وأبــدلوا البر بالشر، فإذا الظلم في مكان العدل، والشر في مكان البر!

3 - طبيعة فاسدة: «زاغ الأشرار من الرَّحم، ضلّوا من البطن، متكلمين كذباً» (آية 3). منذ بدايــة الخليقة وشر الإنسان كثير «لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته» (تك 8: 21). «يسلك ســائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر، ومتجنِّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم، بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحِسّ، أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمــع» (أف 4: 17–19). أما الذين تابوا وفتحوا قلوبهم لنعمة الله فيقول لهم: «وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا» (أف 4: 20) لأنهم قاموا مع المسيح إلى حياة جديدة.

4 - يرفضون التوبة: «لهم حُمة مثل حُمة الحية، مثل الصلّ (نوع خبيث من الحيات) الأصمّ يســدّ أذنه، الذي لا يستمع إلى صوت الحُواة الرَّاقين رُقَى حكيم» (آيتا 4، 5). الأشــرار أعــداءٌ للنــاس، وكالحيَّة يسمِّمون حياة البشر. يرفضون كلام الله ولا يتوبون. ويشبِّههم المرنم بالصلّ الأصــمّ الــذي يسدّ أذنه فلا يسمع صوت الحُواة الحكماء الذين يزمّرون للحية الخبيثة فتنتشي وتستسلم لهم ليخلعــوا أسنانها السامة، فيبقى السمُّ فيهم.

وهناك خطاة لا يرفضون عمل الله فقط، بل يقاومون روحه القدوس. لهؤلاء قال الشهيد المسيحي الأول استفانوس: «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائمــاً تقــاومون الــروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم! أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الــذين ســبقوا فأنبــأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه؟» (أع 7: 51–53). فكم من مرة يدعونا الله للتوبة

عن طريق آية من الكتاب المقدس، أو بمعاملاته اليومية معنا إذ يلمس حياتنا بلمسة حب أو بتأديب محبة، أو من خلال صديق يحدثنا عن التغيير الذي جرى في حياته. بهذه الطرق وغيرها يقدم لنا الله دعوة مفتو للتوبة ويقول: «إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه» (رؤ 3: 20) لأُشبع قلبه بمغفرة خطاياه، وبمنحه نعمة التبنّي التي تضمن له حياته الأبدية.

ثانياً - نتائج شر الشرير

(آيات 6-9)

لما كانوا خطاة يرفضون التوبة، يعلن داود أن الله سيكسر قوتهم الشريرة.

1 - قوتهم تتحطم: «اللهمَّ كسّر أسنانهم في أفواههم. اهشِم أضراس الأشبال يا رب» (آية 6). لا بد أن الله سيحطم القوة التي تريد افتراس الصدِّيق. وكم من مرة هشَّم فيها الله أسنان الشرير فقاده للتوبة، لأنه كشف له عجزه وألجأه إلى هجر ظلمه وطاعة ربِّه.

2 - عملهم سيفشل: «ليذوبوا كالماء. ليذهبوا. إذا فوَّق سهامه فلْتَنْبُ» (آية 7). فإن كانوا جامدين كالثلج سيذوبون وتبتلعهم الأرض. ربما ظنوا أن قوتهم باقية صلبة، ولكن لا بد أن تبتلعهم الأرض ويختفوا، فتخيب سهامهم ولا تصيب الهدف الذي هو قلب الصدِّيق. إنهم يريدون أن يحطموا المؤمن، ويقضوا عليه، ولكن الله سيقف إلى جواره ليضمن سلامته، ويخيِّب مهاجمات الأشرار، ويُنهي من لأرض ذكرهم.

3 - نهايتهم الدمار الكامل: (آيتا 8، 9).

في هاتين الآيتين ثلاث صور عن نهاية الأشرار:

(أ) «كما يذوب الحلزون ماشياً» (آية 8أ): والحلزون حيوان رخو يعيش في صَدَفة. ما أكثر الأصداف التي نجدها على الشاطئ ولا شيء في داخلها، لأن الحلزون الذي كان فيها ترك الصدفة ولم يعد له وجود.

(ب) «مثل سِقْط المرأة لا يعاينوا الشمس» (آية 8ب): يطلب للشرير أن يولد قبل الأوان ناقصاً، فيموت ولا يرى الشمس، فتستريح الأرض من شرِّه.

(ج) «قبل أن تشعر قدوركم بالشوك نيئاً أو محروقاً يجرفهم» (آية 9): يطلب من الله أن يسرع بإهلاك الأشرار، قبل أن تصل الحرارة إلى قدر الطعام، وقبل أن ينضج اللحم، وقبل أن

يظهر إن كان شوك الوقود أخضر أو يابساً، فيتم فيهم القول: «قد رأيتُ الشرير عاتياً، وارفـاً مثـل شجرة شارقة ناضرة. عَبَر فإذا هو ليس بموجود، والتمستُه فلم يوجـد» (مـز 37: 35، 36). «يـا هؤلاء جميعكم، القادحين ناراً، المتنطِّقين بشرارٍ، بنور ناركم، وبالشرار الذي أوقدتموه.. في الوجـع تضطجعون» (إش 50: 11). والمعنى من هذا أنه من قبل أن يتذوَّق القضاة الظالمون ثمار ظلمهـم يحل بهم غضب الله كطوفان يجرفهم «ولكن بني بليَّعال جميعهم (بليعال اسم عبري معنـاه شـرير، يلقِّبون به من لا يخاف الله) كشوكٍ مطروح.. فيحترقون بالنار في مكانهم» (2صم 23: 6، 7).

ثالثاً - درسان من دمار الشرير

(آيتا 10، 11)

1 - فرح البار المضطهَد بالعدالة: « يفرح الصدِّيق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير» (آية 10). بقدر ما يتأسف البار على هلاك الشرير بقدر ما يفرح أن الله أجرى عدالته الإلهية، وأنه هـو نجا من شرِّ الشرير. يقف المؤمن أمام هلاك الشرير موقف الحائر: هل يفرح أم هل يحـزن؟ إنـه يمشي في أرض المعركة التي انتهت ويتأمل آثارها، فيرى الشرير ساقطاً ومجد الرب عالياً، فيقول: «يعظم انتصارُنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37). وسيجيء اليوم الذي يُعلَن فيه انتصار المسيح، والغالبون يملكون معه. «بعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمعٍ كثيرٍ في السماء قائلاً: هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حقٌّ وعادلةٌ» (رؤ 19: 1، 2).

2 - انتصار العدالة الإلهية: «ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض» (آية 11). عندما تأخذ العدالة الإلهية مجراها نرى ثمار الحياة التقية، فإن ما يزرعه الإنسان إياه يحصـد أيضاً (غل 6: 7). ولو أن ملاحظة معاناة الصديق ونجاح الشرير قد تجعلنا نظن أن الله لم يعُد يهتم بالبشر. والحقيقة أنه إله محب وقاضٍ عادل في كل الأرض. لن تكون الغلبة للشرير ولا لجنوده، لأن المؤمنين سيغلبون العدو بدم الحمل، وبكلمة شهادتهم (رؤ 12: 7-17).

يقدم هذا المزمور دعوةً للنفس البعيدة عن الله لتتوب قبل أن تتهشَّم وتتحطم وتتـدمَّر. «اليـوم إن سمعتُم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (عب 3: 7، 8). فصوت الله يجيء إلينا يـدعونا للتوبـة، كمـا أن مزمار الراقي يدعو الحية السامة لينزع أنيابها. فلنسمع الصوت ونتجاوب معه، ولنرجع إلى الله بكل قلوبنا ونقبل دعوته المقدسة، فيكون لنا النصيب الصالح الذي لن يُنزع منا (لو 10: 42).

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ وَرَاقَبُوا الْبَيْتَ لِيَقْتُلُوهُ.

1أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ احْمِنِي. 2نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَمِنْ
رِجَالِ الدِّمَاءِ خَلِّصْنِي، 3لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي. الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ، لاَ لإِثْمِي وَلاَ
لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ. 4بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ. اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَانْظُرْ. 5وَأَنْتَ
يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ إِلهَ إِسْرَائِيلَ انْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ. كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ.
6يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ. 7هُوَذَا يُبِقُّونَ بِأَفْوَاهِهِمْ.
سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «مَنْ سَامِعٌ؟» 8أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ
بِجَمِيعِ الأُمَمِ. 9مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي.

10إِلهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي. اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي. 11لاَ تَقْتُلْهُمْ لِئَلاَّ يَنْسَى شَعْبِي. تَيِّهْهُمْ
بِقُوَّتِكَ، وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا. 12خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ. وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ
وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ. 13أَفْنِ بِحَنَقٍ، أَفْنِ، وَلاَ يَكُونُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ
مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ. 14وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ
الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ. 15هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ، إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا.

16أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ، وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي وَمَنَاصاً فِي يَوْمِ
ضِيقِي. 17يَا قُوَّتِي، لَكَ أُرَنِّمُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي إِلهُ رَحْمَتِي.

يجتمعون عليَّ، لا لإثمي!

كتب داود هذا المزمور بعد أن أرسل الملك شاول رجاله ليقبضوا عليه في بيته، عند زوجته ميكال ابنة الملك (1صم 19). لقد توقَّع التشجيع من والد زوجته، لا القتل. وتوقَّع الإكرام من ملكه، لا المطاردة. وكثيراً ما يكون أعداء الإنسان أهل بيته (مت 10: 36). ولكن سيظل الآب السماوي أميناً دائماً، وإلى الأبد، صادقاً في وعوده، يفتح بابه للمتضايقين ولا يغلقه في وجوههم أبداً. فعندما تهتزُّ ثقتنا في القريبين منا يبقى هو ملجأنا الأمين. وكلما زادت عداوة البشر لنا دفعتنا دفعاً للاحتماء بالعناية الإلهية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المطارَد يطلب الحماية (آيات 1–9)

ثانياً – المطارَد يطالب بالجزاء (آيات 10–17)

أولاً ـ المطارَد يطلب الحماية

(آيات 1-9)

1 ـ يطلب الحماية من مقاوميه: «أنقِذني من أعدائي يا إلهي. من مقاوميَّ احمِني. نجِّني من فاعلي الإثم، ومن رجال الدماء خلّصني» (آيتا 1، 2). ما أكثر ما عانى داود من أعدائه المقاوِمين، فاعلي الإثم، المتعطشين للدماء والقتل. وما أكثر ما حماه الله منهم في حصنه وتحت ظل جناحيه، فهو الحصن والقلعة.

2 ـ يطلب الحماية من رجال الدسائس: «لأنهم يكمنون لنفسي. الأقوياء يجتمعون عليَّ، لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب. بلا إثمٍ مني يَجْرون ويُعِدّون أنفسهم. استيقِظ إلى لقائي وانظر» (آيتا 3، 4). مع أن داود لم يرتكب شراً في حق أعدائه، إلا أنهم اجتمعوا حوله مسرعين، وقد أعدّوا له الشر، وحفروا له الحُفر ونصبوا له الشِّباك. ولذلك ظنَّ أن الرب نائم، فطلب منه أن يستيقظ ليلاقيه بجيش قوي يحميه.

3 ـ يطلب الحماية ممَّن يعاودون الهجوم: «وأنت يا رب إله الجنود، إله إسرائيل، انتبِه لتطالب كل الأمم. كل غادرٍ أثيم لا ترحم. يعودون عند المساء يهِرّون (ينبحون بصوت منخفض) مثل الكلب، ويدورون في المدينة. هوذا يُبِقّون بأفواههم (يتكلمون كلاماً بلا معنى). سيوفٌ في شفاههم، لأنهم يقولون: من سامع؟» (آيات 5–7). يلجأ المرنم إلى «إله الجنود» الذي يستخدم جنوده من الملائكة والأفلاك والطبيعة والبشر ليدافعوا عنه. ويلجأ إلى «إله إسرائيل» الذي لا ينعس ولا ينام، ولا يرضى بالظلم، ويطالبه بالانتباه إليه لينقذه من أعدائه الذين يصفهم بأنهم من «الأمم». إنهم مولودون من نسل إبراهيم، ولكن تفكيرهم وأعمالهم مثل تفكير «الأمم» وأعمالهم. إنهم يعيشون في جاهلية، غادرون لا يستحقون رحمة الله، غارقون في الشر، يشبِّههم بكلاب ضالة متوحشة تنام نهاراً في الشمس في كسل، وتتجمَّع ليلاً تجول في الشوارع تفتش على طعامها، وبسبب جوعها تنبح بأصوات منخفضة لا تكاد تُسمع. ويقول إنهم «يبقّون» كلاماً فارغاً سخيفاً بلا معنى، و«فم الجهّال يُنبِع حماقة.. فم الأشرار يُنبِع شروراً» (أم 15: 2، 28). يؤذون داود بكلامهم ويحسبون أن الله لا يسمع ولا يهتم، ولن يساعد داود بشيء. «يقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ. افهموا أيها البُلداء في الشعب.. الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟» (مز 94: 7–9).

4 - يطلب الحماية ممّن نهايتهم الخزي: «أما أنت يا رب فتضحك بهم. تستهزئ بجميع الأمم. من قوّته (قوة العدو) إليك ألتجئ، لأن الله ملجإي» (آيتا 8، 9). العدو أقوى من داود، فيلجأ إلى ملجإه الذي اختبره عشرات المرات. حقاً «تفكَّر الشعوب في الباطل.. الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم.. طوبى لجميع المتَّكلين عليه» (مز 2: 1، 4، 12).

ثانياً - المطارَد يطالب بالجزاء

(آيات 10-17)

1 - يطلب أن يرى جزاءهم: «إلهي رحمته تتقدَّمني. الله يُريني بأعدائي» (آية 10). يعلن داود أن رحمة الله ستتقدَّمه لتدافع عنه وتهيّئ طريق نجاته، فيرى عقاب أعدائه. يتلفَّت وراءه فلا يراهم لأن الرب أفناهم. فالرحمة التي تتقدَّمه تعاقب من يتعقَّبونه.

2 - يطلب أن يدفعوا أجرة خطيتهم: (آيات 11-15).

(أ) بأن يتيهوا: «لا تقتلهم لئلا ينسى شعبي. تيِّهْهُم بقوتك وأَهبِطهم، يا رب ترسنا» (آية 11). لا يطلب قتل أعدائه فوراً، بل أن يتيههم الله ويهبطهم حتى يرى الشعب إنقاذ الرب لعبده، وسوء مصير عدوه، فيذكرون عظمة الإنقاذ الإلهي. ما أكثر المعجزات التي لا يذكرها الناس لأنها حدثت في الخفاء! لذلك يطلب داود معجزة واضحة لا تُنسى. فبوجود شاول ومطارداته المتلاحقة يظهر للناس مدى عناية الله بداود، ومدى تيهان أعدائه. إنهم يتوهون كقايين، الذي قال الله له: «متى عملْتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض» (تك 4: 12) وكتيهان بني إسرائيل الذين قيل عنهم: «فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذى فعل الشر في عيني الرب» (عد 32: 13). ويطلب داود أن يضرب الرب أعداءه ضربات شديدة وأن يُهْبِطهم، لأن «الرب ترسنا» فيظهرون بلا قوة ولا سلطان، ويتَّضح أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا 5: 8).

ولا شك أن روح الإنجيل تختلف عن روح التوراة بالنسبة للأعداء، فالإنجيل يطالب بالغفران للمسيئين إلينا (مت 5: 38-42)، أما التوراة فتعلِّم أن العين بالعين والسن بالسن (لا 24:20). ويطالب داود بتطبيق الشريعة التي يعرفها في وقته.

(ب) بأن يفنوا: «خطية أفواههم هي كلام شفاههم. وليُؤخَذوا بكبريائهم ومن اللعنة ومن الكذب الذي يحدِّثون به. أَفْنِ بحنَقٍ أَفْنِ ولا يكونوا، وليعلموا أن الله متسلِّطٌ في يعقوب إلى أقاصي الأرض»

(آيتا 12، 13). بعد أن يطلب البؤس والعذاب الطويل في التيهان والضربات الشديدة، يطالب بفناء مؤامراتهم ودمارها، وعقابهم على «خطية أفواههم» وهجومهم الكلامي عليه، وكذبهم وكبريائهم، ويكرر طلب فنائهم: «أَفْنِ.. أَفن» فينتهي سلطانهم وجبروتهم. «أما الغادرون فيُؤخَذون بفسادهم» (أم 11: 6). قد يستخفُّ البعض بخطايا الكلام، لكن الله لا بد سيدين المتكلم بالشر «من فمك أدينك أيها العبد الشرير» (لو 19: 22).

(ج) بأن يفشلوا: «ويعودون عند المساء يهِرّون مثل الكلب ويدورون في المدينة. هم يتيهون للأكل. إن لم يشبعوا ويبيتوا» (آيتا 14، 15). يستريح أعداء داود طيلة اليوم، كالكلاب الوحشية، وعند المساء ينبحون نباحهم الخافت ويدورون في المدينة يطلبون نفس داود ليفترسوه (راجِع آية 6). إنهم متعطشون لسفك الدماء، ولكنهم لن يحققوا هدفهم بقتل داود، فعندما يطلع الفجر يكون داود لا يزال آمناً، وهم لا يزالون يطلبون دمه، فيبيتون منتظرين مساء اليوم التالي ليعاودوا محاولاتهم الفاشلة في قتله!

3 - يقدم الشكر لله منقذه: «أما أنا فأغني بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك، لأنك كنتَ ملجأً لي ومناصاً في يوم ضيقي. يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آيتا 16، 17). يختم داود مزموره بالحديث عن مصير التقي الذي يثق في خلاص الله. إنه يسبِّح الرب ويحمده لأنه وهبه النجاة وقدَّم له الحماية. كان يتحصَّن في الكهوف التي صنعها الله. وكم من حصون طبيعية نعرفها فنلجأ إليها. ولكن كم من حصون فوق طبيعية لا نحلم بها ولا تدركها عقولنا يحمينا الله فيها! «والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع» (أف 3: 20، 21). إنه الملجأ والمناص (المفرُّ والخلاص) الذي نهرب إليه وقت محنتنا. فنهتف: «يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آية 17).

اَلْمَزْمُورُ السِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى السَّوْسَنِّ. شَهَادَةٌ مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لِلتَّعْلِيمِ. عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ وَأَرَامَ
صُوبَةَ فَرَجَعَ يُوآبُ وَضَرَبَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمِلْحِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً.

1يَا اللهُ، رَفَضْتَنَا. اقْتَحَمْتَنَا. سَخِطْتَ. أَرْجِعْنَا. 2زَلْزَلْتَ الأَرْضَ. فَصَمْتَهَا. اجْبُرْ
كَسْرَهَا لأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ. 3أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْراً. سَقَيْتَنَا خَمْرَ التَّرَنُّحِ. 4أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً
تُرْفَعُ لأَجْلِ الْحَقِّ. سِلاَهْ. 5لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي.

6اَللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ. أَبْتَهِجُ. أَقْسِمُ شَكِيمَ وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ. 7لِي جِلْعَادُ وَلِي
مَنَسَّى، وَأَفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي. يَهُوذَا صَوْلَجَانِي. 8مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ
نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ.

9مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟ 10أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اللهُ الَّذِي
رَفَضْتَنَا وَلاَ تَخْرُجُ يَا اللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟ 11أَعْطِنَا عَوْناً فِي الضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ
الإِنْسَانِ. 12بِاللهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا.

راية تُرفع لأجل الحق

يمجِّد هذا المزمور الرب بسبب الانتصار الذي منحه لشعبه بعد هزيمة أليمة. وهذا اختبار كل المؤمنين، فإبليس وجنوده من الشياطين والبشر لا يكفّون عن مهاجمة المؤمنين، وهم دائمو الشكوى على أولاد الله. فإبليس يشكو الله لنا قائلاً إنه لم يعُد يحبنا، ويشكونا لأنفسنا قائلاً إننا غير نافعين روحياً، ليفشِّلنا، فنفقد الثقة في أنفسنا ونتقاعس عن طاعة الرب. ولكن في الرب لنا نصرة على إبليس وجنوده، فنغلب التجربة والمرض والضيق. ولا شك أن في حياتنا الإيمانية انتصارات وهزائم، والهزائم لا يجب أن تفشِّلنا، كما أن الانتصارات لا يجب أن تجعلنا نتكبَّر ونتعالى، بل إن الانتصار السابق يُلهم ويشجِّع دائماً للحصول على انتصارات قادمة. وعلينا أن نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، وأن نقاوم حتى الدم مجاهدين ضد الخطية (عب 12: 1، 4).

هذا المزمور شهادة للأجيال القادمة، تعلن أن النصر النهائي هو للرب ولكل من هم له. أما مناسبة كتابته فنجدها في 2صم 8 لما حارب داود أرام النهرين وأرام صوبة في الشمال، فهاجمه الأدوميون من الجنوب، فرجع من الشمال إلى الجنوب وحارب وانتصر، وهو نصرٌ تكرَّر على الأدوميين بعد ذلك (2مل 14: 7).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – حيرة المرنم (آيات 1–3)

ثانياً – انتظار المرنم (آيتا 4، 5)

ثالثاً – مواعيد الله للمرنم (آيات 6–8)

رابعاً – أمل المرنم (آيات 9–12)

أولاً - حيرة المرنم

(آيات 1-3)

تحيَّر داود من أن العدو غزا بلده من الجنوب بينما هو يحارب في الشمال، فلم تكن لديه القوة على الحرب في جبهتين. وأحسَّ أن الله رفضه وسمح لأعدائه أن يهاجموه بسبب سخطه عليه، فتزلزلت الأرض من تحته، وانفصمت (تصدَّعت) فلم يعُد قادراً على الوقوف عليها ولا على قدميه، ورأى عُسراً وشدائد، وشرب خمر الترنُّح، وصار كالسُّكارى، عاجزاً عن إدراك حجم الكارثة، ومحل سخرية الناظرين، ولا يدري كيف يدافع عن نفسه.

ولكن المرنم الحائر أدرك سبب ما حاق به، وأدرك علاجه، فقال: «أرجِعنا» لأن البُعد عن الله هو سبب الهزيمة، وإعادة العلاقة مع الله هو علاجها. وقال: «اجبُر كسرها» فإن الذي زلزل الأرض فكسّرها هو وحده القادر أن يجبرها. وهذه ثقة عظيمة في الله المنقذ من الحيرة.. قد يتوقَّف بعضنا عند الحيرة ولا يصلّون، فيظلمون أنفسهم، مع أنه لا شفاء للحائر إلا بالصلاة!

ثانياً - انتظار المرنم

(آيتا 4، 5)

يقول المرنم إن الله أعطى خائفيه رايةً تُرفع لأجل الحق. والراية هي محبة الله لهم «علَمُه فوقي محبة» (نش 2: 4) فلا بد أن ينتصروا، لأن محبة الله لا تنقص ولا تتغيَّر، وهي تنجي أحباءه إذ تخلِّصهم يمينه. كما أن الرب نفسه هو راية شعبه، لأن لقبه: «يهوه نِسّي» (اسم المذبح الذي بناه موسى تذكاراً لانتصاره على العمالقة، خر 17: 15).

وقد أدخل الله شعبه في عهدٍ معه، وينتظر شعبُه منه أن يحقِّق هذا العهد، فالعهد حق. والحرب ضد عدو الرب هي من أجل الحق وبأسلحة الحق. ولما كان داود حبيب الرب (معنى اسم داود «محبوب» وهو الوحيد الذي حمل هذا الاسم في الكتاب المقدس) فلا بد أن ينجو براية الرب، حتى لو هاجمه الوثنيون، فإن «حبيب الرب يسكن لديه آمِناً» (تث 33: 12)، يقول الرب له: «محبةً أبديةً

أحببتُك، من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة» (إر 31: 3).. ومن رحمة الله أن الضيق ينقي المؤمن ويتوِّبه، وفي الضيق ينال بركات «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو 8: 28). وهو قادر بنعمة الله أن يحتمل الضيق حسب الوعد: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9).

ثالثاً - مواعيد الله للمرنم

(آيات 6-8)

1 - مواعيد بقسمة الأرض: «الله قد تكلم بقُدسه» (آية 6) ووعد إبراهيم ونسله بالأرض (تك 15: 18-21)، وأخرج شعبه من أرض العبودية، وعبَّرهم البحر الأحمر، وأعطاهم الأرض، فاستسلمت لهم تحصينات العدو. سقط شرق الأردن: سكوت وجلعاد (عجلون) ومنسى، كما سقط غرب الأردن: شكيم (نابلس) وأفرايم ويهوذا، ثم قسم يشوع الأرض للشعب (يش 18: 10).

وانتصارات شعب الله في الماضي تعطي المؤمنين في كل عصر شجاعةً وثقة وايماناً. فلن ننسى إعطاء المنَّ يومياً للشعب في صحراء سيناء مدة أربعين سنة (خر 16: 4-11)، ولا الغربان وهي تطعم إيليا (1مل 17: 2-7)، ولا الأرملة ودهنة الزيت التي ملأت الأوعية (2مل 4: 1-7)، ولا فتح أبواب السجن وخروج بطرس حُراً (أع 12). فالرب دائماً يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة (قض 14: 14)، ويعطي من أصعب الظروف أكبر البركات، ويجعل أقسى الأيام اختبارات عظيمة للمحبة الإلهية. ففي الظروف القاسية يكتشف المؤمن ضعفه، كما يكتشف نعمة الروح القدس التي تقوّيه. حتى الخطية التي يسقط فيها تعلِّمه أن الرب غفور، يعطي التائب فرصة ثانية.

2 - مواعيد برفعة الشعب: «لي جلعاد ولي منسّى، وأفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني» (آية 7). يعلن الله أن له «جلعاد ومنسى» وهي أرض باشان، شرق نهر الأردن، والتي أُعطيت لنصف سبط منسى.. وأن له أفرايم المحارب، أقوى الأسباط بعد سبط يهوذا، ويشبِّهه بالخوذة التي تحمي رأس المحارب، والذي باركه موسى بقوله: «قَرْناه قرنا رِئم (غزال أبيض)، بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض» (تث 33: 17). ولله سبط يهوذا الذي يشبِّهه بالصولجان، فمنه الملك داود، وعنه تنبّأ يعقوب: «لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا.. وله يكون خضوع شعوب» (تك 49: 10). وفوق الكل جاء منه المسيح «الأسد الذي (الخارج) من سبط يهوذا» (رؤ 5: 5).

3 - مواعيد بسقوط العدو: (آية 8). يسقط أعداؤه الثلاثة:

(أ) موآب: «موآب مرحضتي» (آية 8أ). المرحضة هي الوعاء الذي يوضع فيه ماء الاغتسال، أي أن المرنم يغسل رجليه بعد تعب السفر على موآب، ويستعبده، قال إشعياء: «سمعنا بكبرياء موآب المتكبِّرة جداً، عظمتِها وكبريائها وصلَفِها، بُطل افتخارها.. يُهان مجد موآب» (إش 16: 6، 14).

(ب) أدوم: «على أدوم أطرح نَعْلي» (آية 8ب). أي أن أدوم يصير عبداً للمرنم، يخلع نعله من رِجْلَيه ليغسلهما. أو أنه يقصد أنه سيمتلك أرضه. وكانت العادة أن الذي يشتري بيتاً أو أرضاً يخلع نعله ويضعه على البيت أو الأرض، بمعنى أنه امتلكه وصار له.

(ج) فلسطين: «يا فلسطين اهتفي عليَّ» (آية 8ج). بمعنى أن فلسطين تهتف له هتاف الانتصار، لأنها استسلمت له. «إذا أرضت الرب طرق إنسان، جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم 16: 7). ولا يسالمونه فقط بل يخدمونه أيضاً!

وللمؤمن ثلاثة أعداء: الجسد، والعالم، وإبليس. فأجسادنا تشدُّنا إلى الخطأ. والعالم يغوينا بشهوته التي تستمر. وإبليس يزيِّن لنا الخطية. ولكن الذي أعطى داود انتصاراً في الماضي هو الذي ينصرنا على أعدائنا الثلاثة، فلنطلب من الله ثقةً وقوة وانتصاراً. ولنلبس سلاح الله الكامل لنقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس (أف 6: 10-13).

رابعاً - أمل المرنم

(آيات 9-12)

1 - سيقوده الله إلى سالع (البتراء): «مَن يقودني إلى المدينة المحصَّنة؟ من يهديني إلى أدوم؟ أليس أنت يا الله الذي رفضتنا ولا تخرج يا الله مع جيوشنا؟» (آيتا 9، 10). المدينة المحصَّنة هي عاصمة أدوم، المعروفة الآن في الأردن باسم البتراء، وهي مدينة حصينة جداً وعالية، مبنيَّة على صخور، لا يمكن أن يهزمها أحد. والمرنم يثق أن الله هو الذي سيهديه إلى أدوم وينصره، بالرغم من أنه رفضه ولم يعُد يخرج مع جيشه. وبالمعنى الروحي نستطيع نحن أن نحصل من الله على الامتيازات التي وعدنا بها، فيغفر خطايانا، ويمنحنا سلام القلب وقداسة الحياة، وأخيراً يُدخِلنا إلى مجده الأبدي، فنقول بلغة داود: مَن يقودنا يا رب إلى كل هذه البركات؟ أليس أنت يا الله؟ وبالرغم من أنك تركتنا لأننا أفلتنا يدنا من يدك، لكنك تعود تمسك بنا وتقودنا من جديد. «هوذا يقتلني. لا أنتظر شيئاً، فقط أُزكّي طريقي قدامه» (أي 13: 15).

2 - بالرب الخلاص: «أعطِنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاص الإنسان. بالله نصنع ببأس، وهو يدوس أعداءنا» (آيتا 11، 12). تعلّم داود درساً من الهزيمة. كان قد اتكل على نفسه وعلى حلفائه، لكنه تعلَّم أن خلاص الإنسان باطل، وأن الله وحده هو العون في الضيق. وفي هذه الآية درسٌ لرابح النفوس، هو أنه بيسوع وحده نصل إلى قلب الخاطئ، المتحصِّن ضد معرفة الله، والذي يقاوم الاستسلام لمحبة الله.

بدأ داود مزموره حائراً، ولكنه أنهاه بطلاً منتصراً. بدأه يشتكي متزعزعاً ساقطاً، ولكنه أنهاه وقد صنع الله به ببأس. ولا زالت هذه القوة العظيمة من حق كل مؤمن ليصنع ببأس، وينتصر على كل من يدوس عليه، سواء داسته الخطية، أو المواقف الصعبة، أو الأعداء، أو التجربة. فلنتعلم كيف نقرع باب الرب في ثقةٍ ومحبة وطاعة، فينفتح لنا باب الانتصار العظيم. ويعظُم انتصارُنا بالذي

أحبَّنا، ولا يفصلنا عن محبة المسيح شيء، فنكون دائماً في صُحبة الغالب، الذي أبطل الموت وأنـــار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (رو 8: 37، 39 و2تي 1: 10).